الفصل الأول

فى العقيدة

- رحمة الله تعالى
- حرمة من قال - لا إله إلا الله
- لقاء الله تعالى
- الله أقوى من كل قوى
- من بركة الرسول
- الأدب فى مجلس الرسول
- من تواضع الرسول
- حب الله ورسوله
- بركة المدينة المنورة
- الأسباب والمسببات
- الرفق فى الدعوة إلى الله
- الشهداء
- المجاهد المسلم
- شهادة الناس
- التضحيات سبيل النصر
- تطور الحياة والفكر
- هوان الدنيا
- وقت الفتنة

رحمة الله تعالى

الله تعالى خلقنا، ورزقنا، ويسر لنا الكون، وسخر لنا الكائنات، وأمدنا بما لا يحصى من النعم..

إن المسلم يستفتح صلاته وعبادته ومعاملاته كلها بسم الله الرحمن الرحيم..

ويقرأ المسلم فاتحة الكتاب فى صلاته سبع عشرة مرة على الأقل كل يوم وليلة، وفيها (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم).

إن رحمة الله تعالى تتجلى على الإنسان منذ كان فى رحم أمه نطفة ثم علقة، ثم مضغة فعظاما ثم عظاما مكسوة باللحم، ثم نفخ فيه الروح وأمسك عليه الحياة فى ظلمات ثلاث، هى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، ثم خرج من ذلك القرار المكين بعدما يسر له السبيل، ثم ألهمه الرضاعة وأنزل له لبنا مصفى، وحبب إليه والديه وحببه إليهما..

ويسر الله للإنسان فى مراحل حياته على ظهر هذه الأرض – كل أسباب الرزق والطعام والماء، وأحاطه بما ينفعه من السماء والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب.. كل ذلك صنع الله وحده وتدبير الخالق سبحانه..

ولم يترك الله تعالى الإنسان هملا بل أنزل إليه الوحى، وقدم إليه الشرع، وبيّن له الهدى من الضلال، والحق من الباطل، والرشد من الغى.. وكان ختام الوحى الإلهى القرآن الكريم يهدى للتى هى أقوم وصدق الله حيث يقول:

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

(المائدة / ١٥، ١٦)

وذات يوم قدم على النبى ﷺ سبى، جاء به عمر بن الخطاب رضى الله عنه، غنمه من معارك المشركين، وكان فى السبى امرأة تبحث عن صبى لها، وظلت تسعى بين مجموعة الأسرى عسى أن تجد صبيها، وفجأة التقطته عيناها فأخذته بحنو بالغ وشفقة كبيرة، فألصقته بصدرها وبدأت تلقمه ثديها وترضعه..

وكان الموقف مؤثرا فقال الرسول ﷺ لأصحابه: أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار، قالوا: لا والله وهى تقدر على ألاّ تطرحه..

أى أن هذه المرأة لا يمكن بحال من الأحوال أن تفرط فى وليدها بل تظل حريصة عليه، حفية به، وتبذل أقصى ما تستطيع..

عندئذ قال النبى ﷺ : الله **أرحم بعباده من هذه بولدها.**

حرمة من قال: « لا إله إلا الله»

المسلم أخ للمسلم يحرص عليه ويدافع عنه ويصون حرماته، ويظل الجميع آمنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فحق الأخوة الإسلامية كبير وعظيم، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

(الحجرات/١٠)

وكل من نطق بشهادة التوحيد وقال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) – أمن على نفسه وماله وعرضه، وعفا الله عما سلف من أعمال قبل دخوله فى الإسلام، فالإسلام يجب ما قبله، ولعلنا ندرك كيف كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عدوا للإسلام ثم أصبح من أخلص الناس لرسول الله والمسلمين، ولقب بالفاروق وكان خليفة للمسلمين بعد أبى بكر رضى الله عنه وأميرا للمؤمنين.

وذات يوم بعث رسول الله ﷺ بسرية من أصحابه المهاجرين والأنصار، يتعقبون جماعة كافرة تؤذى المسلمين وتعتدى على حرماتهم فأدركوهم وهزموهم بإذن الله، وطارد أسامة بن زيد ورجل من الأنصار واحدا من هذه الجماعة المشركة، فلما اقتربوا منه نطق هذا المشرك بكلمة التوحيد قائلا: لا إله إلا الله..

وهنا كف الأنصارى عن الرجل وأعرض عنه ولكن أسامة بن زيد واصل هجومه على الرجل وطعنه برمحه حتى قتله..

فلما عادت السرية إلى المدينة المنورة والتقى الجنود برسول الله ﷺ، قصوا عليه ما حدث، فغضب رسول الله غضبا شديدا ووقف أسامة يدافع عن نفسه..

قال الرسول ﷺ: لم قتلته؟ قال أسامة: يا رسول الله أوجع فى المسلمين وقتل فلانا وفلانا، وسمى له نفرًا، وإنى حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله.

قال الرسول ﷺ: أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟!

قال أسامة: يا رسول الله: إنما قالها خوفًا من السلاح، إنما كان متعوذا.

قال الرسول ﷺ : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!

فما زال يكررها حتى قال أسامة: ليتنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم..

أى أن أسامة يريد أن يكون إسلامه ماحيا للذنوب ويكون على إسلام لا معصية بعده..

ثم قال أسامة: يا رسول الله استغفر لى.

عندئذ قال النبى ﷺ : **وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة..**

لقاء الله تعالى

حياة الإنسان مرهونة بأجل مسمى، حدده الله تعالى، والعاقل من حرص على حياته فانتفع بها الانتفاع الصحيح فآمن وعمل صالحا واستقام على الطاعة فى قلبه وجوارحه، ومن رحمة الله بعباده أنه سبحانه يسدد خطاهم ويوفقهم لما فيه الخير طالما صدقت نياتهم وبدأوا الطريق إلى الله، فالتيسير لليسرى إنما هو للمؤمنين الصادقين، وعلى العكس من ذلك إذا انحرف الإنسان وجانب الصواب وحاد عن الحق فإن الله تعالى يمنع عنه ألطافه ويتركه وما اختار لنفسه..

قال الله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾.

(الليل ٥ — ١٠)

ومن تيسير الله لعباده الصالحين أن الملائكة تتنزل عليهم فى مواطن كثيرة تلهمهم الخير وتبشرهم حسن العواقب عند الموت.. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

(فصلت/ ٣٠، ٣١)

وذات يوم قال النبى ﷺ: **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.**

هنا قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: يا نبى الله أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟!

تعنى هل المقصود من كراهة لقاء الله هو كراهة الموت، فطبيعة البشر أنهم يكرهون الموت، وهو صعب على النفس البشرية، فهل يا ترى من كره الموت فكأنه كره لقاء الله تعالى، وبالتالى يناله السخط والغضب من الله؟!

فبدأ رسول الله ﷺ يوضح مقصود حديثه، وهو أن الإنسان فى حال الاحتضار وقرب الموت، عندما يشخص البصر، ويحشرج الصدر، ويقشعر الجلد وتتشنج الأصابع.. فى هذه اللحظة يكشف الحجاب عن الإنسان ويصبح بصره حديدا فيرى ما لم يكن يراه من قبل، ويطلع على ما وراء الطبيعة، ويشاهد ما أعده الله تعالى له من الجزاء، وتتنزل الملائكة بالبشرى للمؤمنين وبالوعيد للكافرين، وفى هذه اللحظة لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا.. ويرى أهل السعادة مأواهم فى النعيم فيحبون لقاء الله، ويرى أهل الشقاوة مأواهم فى الجحيم فيكرهون لقاء الله..

عندئذ قال النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها: **(ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه).**

الله أقوى من كل قوى

ما مِنْ قوى فى الناس إلا وهناك مَنْ هو أقوى منه، وأقوياء اليوم ضعفاء الغد، فإن دوام الحال من المحال، ولا أحد يملك لنفسه الصحة أبدا، ولا أحد يملك لنفسه القوة دائمًا.. قال الله تعالى:

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

(الروم — ٥٤)

وعلى الذين يظلمون الناس بقوتهم وبطشهم أن يعلموا أن الله أكبر من كل شىء وأن الله تعالى لا يرضى لعباده الظلم، وأن الله تعالى يقتص من الظالم ولو بعد حين.. قال جل شأنه:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

(النحل — ٦١).

وذات يوم قام أبو مسعود البدرى فضرب غلاما له بالسوط، وغضب عليه غضبا شديدا، حتى أنه سمع صوتا يناديه من خلفه: اعلم أبا مسعود، فلم يفهم الصوت ولم يدرك صاحبه، فلما اقترب منه إذا هو برسول الله ﷺ، وإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود..

فبهت الرجل وذهل لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتأدبون فى حضرة رسول الله ﷺ ويحرصون على الالتزام بتوجيهاته الرشيدة..

وبمجرد أن وجد أبو مسعود رسول الله أمامه ألقى السوط من يده، وأقبل يستمع، فقال له الرسول ﷺ:

اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام..

وتلك حكمة بالغة، لو عقلها الناس ما ظلموا ولا بغوا فى الأرض ولا استكبر إنسان على أخيه.. فإن الإنسان إذا تذكر قدرة الله عليه خشع قلبه وتواضع لخلق الله..

وبعدما استمع أبو مسعود رضى الله عنه لمقالة رسول الله قال: لا أضرب مملوكا بعده أبدا..

ثم تقدم خطوة أخرى فقال: يا رسول الله هو حُرّ لوجه الله..

إن أبا مسعود حين أحس بظلمه لعبده لم يجد بدا من الاعتراف بالخطأ، ثم حاول أن يصلح خطأه فأعتق العبد وحرره من الرق حسبة لوجه الله تعالى..

فلم يكتف بالاعتذار لعبده والتأسف له وإنما جاد عليه بالحرية..

وعندئذ قال النبى ﷺ: **أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار..**

من بركة رسول الله

أيد الله تعالى رسوله محمدا ﷺ بخوارق العادات، التى تجعل الناس يقرون بفضل الله تعالى على رسوله وعليهم فإن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، وله الخلق والأمر، يفعل ما يشاء، لا معقب لحكمه..

وذات يوم فى غزوة تبوك ، التى وقعت فى العام التاسع للهجرة على حدود الشام، وصاحبها جهد ومشقة وعسرة، وذكرها القرآن المجيد فى سورة التوبة فى آيات بينات منها قوله تعالى:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

(الآية: ١١٧)

فى هذه الغزوة أصاب الناس جوع شديد، ولم يجدوا ما يأكلون فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا؟، يعنى أنهم لم يجدوا أمامهم مفرا من ذبح الإبل التى يستخدمونها فى السقاية للجيش، واستأذنوا رسول الله فى أن يمنحهم تصريحا بذبحها باعتباره القائد الأعلى للجيش، حتى يأكلوا لحمها ويتخذوا دهنا من شحومها..

ولما عرض الأمر على رسول الله ، ووجد أنهم قد استنفدوا كل ما معهم من زاد، ولم يعد أمامهم بُدٌّ من ذلك، قال: افعلوا، لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء إلى رسول الله وقال: يا رسول الله إن فعلت قَلّ الظهر، يعنى لو أن الناس ذبحوا الإبل التى يستعينون بها فى القتال وإعداد الجيش ضاعت قوتهم ولم يجدوا ما يحملون عليه أمتعتهم وأسلحتهم.. واقترح عمر بن الخطاب اقتراحا بديلا فقال:

ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل البركة فى ذلك..

إن عمر رضى الله عنه كان ملهما، وكان إيمانه قويا حتى أن الشيطان لا يلتقى معه فى طريق واحدة، لقد اقترح عمر أن يأتى الناس ببقايا الطعام الموجودة لديهم ويضعونها بين يدى رسول الله ﷺ فيدعو الله أن يبارك هذا الطعام القليل حتى يأكل منه الجيش كله.

فوجد الرسول هذا الاقتراح وجيها فوافق عليه لأنه على يقين كامل من صدق نبوته، وكرمه على ربه، ورعاية الله له وتأييده لرسالته..

فدعا عمر رضى الله عنه بفراش فبسطه ثم طلب من الناس أن يجمعوا فضل طعامهم، وتوالى الناس كل يأتى بما بقى عنده، فجعل الرجل يجىء بكف ذرة، ويجىء الآخر بكف تمر، ويجى الآخر بكسرة.. وهكذا حتى اجتمع على الفراش شىء يسير من الطعام..

ثم جاء رسول الله ﷺ وتوجه إلى الله تعالى بالدعاء أن يبارك هذا الطعام اليسير حتى يأكل الجيش كله.. وحين انتهى الرسول من دعائه قال: خذوا فى أوعيتكم فبادر الناس إلى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه فأكلوا حتى شبعوا وبقيت بعض الأطعمة التى زادت عن حاجة الناس..

وتبين للجميع فضل الله على رسوله حين استجاب دعاءه، وفضل الله على عباده حين أنقذهم من الهلاك.. وثبت اليُقين الكامل بنبوة محمد ﷺ ورسالته التى تحمل الخير والنور والرحمة للعالمين..

عندئذ قال النبى ﷺ :

أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيحجب عن الجنة.

الأدب فى مجلس رسول الله

المسلم يجاهد نفسه ، ويعمل على مرضاة الله ، ويسعى للفوز بالجنة، والإنسان قد لا يخلو من طبع غريب أو عادة فيها نشاز، لكنه يؤدب نفسه، ويهذب طبعه، ويصلح عادته، ويغالب هواه..

ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم أشد حبا لله ورسوله، وأكثر الناس حرصا على مرضاة الله، وأفضل الناس التزاما بالأدب فى حضرة رسول الله ﷺ، فإن طاعة الرسول من طاعة الله، وإن حب الرسول من حب الله..

ويروى أنس بن مالك رضى الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية الكريمة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾.

(الحجرات /٢)

تلك الآية التى تعلم المسلم أدب الخطاب مع رسول الله، حتى يكون لين القول، حسن التعبير، ندى الصوت، رقيق النداء..

فلما سمعها أحد الصحابة وهو ثابت بن قيس، جلس فى بيته واحتبس عن الذهاب إلى مجلس رسول الله ﷺ خشية أن يكون من أهل النار، لأنه كان صاحب صوت جهير، وكان خطيب الأنصار..

وحين غاب عن مجلس رسول الله افتقده المصطفى الكريم وسأل عنه سعد بن معاذ، وقال له: يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟

أى لماذا تخلف ثابت بن قيس ولم يعد يأتى إلى المجلس؟ هل أصابه مرض؟

فالرسول ﷺ كان يتفقد أصحابه، يسأل عن غائبهم ويعود مريضهم، ويسعى فى حوائجهم ويتودد إليهم ويحبهم ويحبونه..

فقال سعد: إنه لجارى وما علمت له شكوى، أى أنه جار له لكنه لم يسمع أنه مريض..

فذهب سعد بن معاذ إلى ثابت بن قيس واطمأن عليه وذكر له سؤال الرسول عنه واستفساره عن صحته، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار..

لقد ظن الرجل أن الآية الكريمة نزلت فى حقه لأن صوته مرتفع بطبعه وخشى من طول مجلسه مع رسول الله أن يتفلت منه صوته عاليا فيدخل فى عداد الهالكين، ولذلك اشتد حذره، وعاد سعد إلى النبى ﷺ وأخبره بسبب تغيب ثابت بن قيس من المجلس النبوى وأنه خشى على نفسه أن يكون ممن تعنيهم الآية، فطمأنه الرسول وحمد له حسن أدبه وطهارة قلبه..

وعندئذ قال النبى ﷺ : **بل هو من أهل الجنة.**

من تواضع الرسول

حرص الرسول ﷺ على أن يتودد للناس جميعا، ويؤلف قلوبهم، ويدخل السرور عليهم، فكان يجيب الداعى، ويقبل الهدية ويكافىء عليها، ويتواضع لكل أحد..

وذات يوم وجهت إليه أم أنس بن مالك رضى الله عنهما دعوة لطعام صنعته، وأرادت أن تحظى برسول الله فى بيتها، فأكرمها الرسول ﷺ ولبى الدعوة، وكان ابنها أنس خادما للمصطفى الكريم..

وبعدما طعم الرسول أراد أن يعلم أهل البيت بعض الأحكام العملية للصلاة بالإضافة إلى تبريك المكان والدعاء لأهله، فطلب منهم القيام إلى صلاة يؤمهم فيها وكانوا ثلاثة: أنس بن مالك، وأمه أم سُليم بنت مِلحان الأنصارية الخزرجية واسمها سهلة وقيل رميثة، وخالته أم حرام بنت ملحان وهى زوجة الصحابى الجليل عبادة بن الصامت، واسمها الرميصاء وقيل الغميصاء..

وقام أنس إلى حصير من جريد النخل قد اسود من طول استعماله فنضحه بماء ليلين ويذهب عنه الغبار، وقدمه إلى الرسول ﷺ ليصلى عليه..

ووقف الرسول الكريم إماما، وجعل أنسًا على يمينه، وصلت المرأتان خلفهما، فإن من فقه الصلاة أن صفوف الصبية تسبق صفوف النساء وتتأخر عن صفوف الرجال، لأن الإسلام حريص على العفاف الشريف وأن تكون علاقة الرجل بالمرأة علاقة طاهرة بعيدة عن الريبة، وأن تظل ساحات المساجد فى منأى عن نزغات الشيطان ونظرات الإثم والفجور..

وأثناء صلاة الرسول بأهل هذا البيت دعا لهم بكل خير من خير الدنيا والآخرة، وحيث إن الأم حريصة على وليدها وتبغى الخير لأولادها فإن أم سُليم

قد رغبت أن يكون لابنها أنس دعوة خاصة فقالت: يا رسول الله خويدمك ادع الله له.

وخويدم تصغير كلمة خادم، فإن أنس بن مالك قد خدم رسول الله طوال العهد المدنى، مدة عشر سنين، ولم يعنفه الرسول مرة واحدة ولا اعترض عليه ولا آله بشىء..

عندئذ دعا النبى ﷺ لأنس بكل خير، وكان فى آخر ما دعا له به أنه قال: **اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه..**

حب الله ورسوله

الله تعالى هو رب العالمين، ونعمه على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وتدبيره لخلقه لا ينقطع؛ وإذا كان المرء مجبولاً على حب من أحسن إليه، فإن الله تعالى أولى بالحب والتقديس، وأحق بالعبادة والخضوع له.

وحيث إن الله تعالى قد بعث محمدا ﷺ رسولا هاديا يبين الحق ويدعو إلى الصدق، ويأمر بالفضيلة ويحث على الخير — فقد حق علينا أن نحبه ونعزره ونوقره، حتى يكون الله ورسوله أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأولادنا والناس أجمعين..

وحين يتحقق هذا الحب الخالص لله والرسول تستقيم الحياة وتصحح العلاقات الاجتماعية وتصبح الرحمة هى العنوان العام..

وذات يوم خرج رسول الله ﷺ من المسجد، وبرفقته أنس بن مالك خادمه الأمين، وعند باب المسجد التقى بهما رجل، فسارع إلى الرسول يسأله سؤالاً عجبا: متى الساعة؟!

يريد هذا الرجل أن يعرف موعد القيامة وزمان وقوعها، حيث يتغير نظام الكون والكائنات ويبعث الله من فى القبور للحساب والجزاء..

هنا وجه الرسول ﷺ الرجل إلى وجهة عملية أحرى به أن يفكر فيها جيدا، فقال له: ما أعددت لها؟!

أى أن زمن الساعة وموعد القيامة ليس هدفا فى ذاته، وإنما شأن العقلاء أن يحرصوا على ما ينفعهم، فالمرء يستعد للقيامة بمزيد العمل الصالح والبر والمعروف، والولاء لمنهج الله والالتزام بشرعه..

ولما سمع الرجل سؤال الرسول ﷺ خجل وبدأ يعيد ترتيب أفكاره، ثم قال للرسول الكريم: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله..

أى أن الرجل ليس مكثرا من نوافل العبادة فهو يؤدى الفرائض، ويستمسك بدينه على قدر طاقته، ويقف عند حدود الله، لكن الشيء المستقر فى قلبه، والمتمكن من فؤاده هو حب الله ورسوله، فهو يستشعر جلال الله وكماله ويقدر الرسول ويوقره، ونية المؤمن أبلغ من عمله ولذا فهو يطمع فى عفو الله وكرمه وجوده وإحسانه، والإنسان بنيته الصالحة قد يحقق من الثواب ما لا يحقق بعمله الذى يرتبط بطاقات الإنسان المحدودة..

عندئذ قال النبى ﷺ: **فأنت مع من أحببت**..

بركة المدينة المنورة

المدينة المنورة فضلها عظيم، ومكانتها كبيرة، ومنزلتها فى الدين رفيعة، فهى ملتقى المهاجرين والأنصار، لقد جاء المسلمون من مكة بعد ثلاث عشرة سنة من بدء الدعوة الإسلامية، ذاقوا خلالها ألوان البأساء والشدة، فاستقبلهم أهل المدينة استقبالا طيبا، وفيهم نزل قول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(الحشر/٩)

والمدينة المنورة كانت تسمى قبل الهجرة النبوية يثرب، فسماها الرسول المدينة ووصفها المسلمون بالمنورة، ولقد تأسست فيها الدولة الإسلامية الأولى، ومنها خرجت جيوش الرحمن وكتائب الإسلام تنشر نور الله فى الآفاق وتمنح الحرية والكرامة للمعذبين فى الأرض، وتخلص الشعوب من الطغاة المستبدين لكى يعيش الناس عباد الله إخوانا..

وتضم المدينة المسجد النبوى الشريف أحد المساجد الثلاثة التى اختصها الله- تعالى بمضاعفة الثواب، فهو فى المرتبة الثانية بعد المسجد الحرام ويليه المسجد الأقصى فى القدس الشريف..

ويضم المسجد النبوى الروضة الشريفة التى هى من رياض الجنة، وتقع بين المنبر والقبر..

ويظل للمدينة فضلها إلى يوم القيامة، فلا يدخلها الطاعون ولا الدجال، وفى آخر الزمن يأوى الإيمان إليها ويلجأ المؤمنون الصادقون إلى رحابها لا يخالطهم أحد فى قلبه نفاق أو ريبة..

وقد جعل الرسول ﷺ المدينة حرما آمنا كما جعل إبراهيم مكة حرما آمنا، وقد دعا الرسول ﷺ بالبركة لأهل المدينة فى معاشهم وكافة شئون حياتهم، فكل ما فيها مبارك..

وكان الناس فى المدينة إذا رأوا أول الثمر لأشجار المدينة وحدائقها جاءوا به إلى رسول الله ﷺ رغبة فى دعائه، وإعلاما بفضل الله عليهم فى إخراج الثمرات، وبشرى للناس بحلول وقت الزكاة والصدقات للزروع والثمار، وكان الرسول ﷺ يعطى هذا الثمر لأصغر من يحضره من الولدان لأنهم أرغب فيه وأكثر تطلعا إليه، وهذا من مكارم أخلاقه ﷺ.

وعندئذ يقول النبى ﷺ: **اللهم بارك لنا فى ثمرنا، وبارك لنا فى مدينتنا، وبارك لنا فى صاعنا، وبارك لنا فى مُدِّنا (والمد نوع من المكاييل) اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإنى عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه.**

الأسباب والمسببات

وضع الله تعالى للكون نواميس وسننا، فهى جارية بمشيئته وسلطانه وقهره، فارتباط الأسباب بالمسببات ارتباط قائم على الإرادة الإلهية، ولو شاء الله غير ذلك لكان..

والمسلم يعتقد أن الكون كله خاضع لقدرة الله عز وجل، تلك القدرة القاهرة التى لا يحدها شيء ولا يعوقها شيء، فالله أكبر..

والمسلم يسعى فى مناكب الأرض ويبذل الجهد ويجتهد ويدع العواقب لله أحكم الحاكمين، فالمسلم يعمل ليكسب، ويأكل ليشبع، ويشرب ليروى، ويتداوى ليشفى، لكن الأمر من قبل ومن بعد إنما هو لله رب العالمين..

والمسلم لا يتشاءم ولا يستطلع الغيب بكهانة أو تنجيم أو سحر أو قراءة كف أو ضرب رمل وودع.. فتلك وسائل خرافية تتنافى مع صدق الإيمان وكرامة العقل.

والنجوم والكواكب لا علاقة لها بمصائر الناس وسعادتهم أو شقاوتهم، وليس لها تأثير ذاتى فى سلوكيات الخير والشر للإنسان، وإنما نتعلم علم الفلك لنعرف الطقس والمناخ والأحوال الجوية ومنازل القمر لتحديد أوائل الشهور العربية وهكذا..

وعندما كان رسول الله ﷺ بالحديبية (وهى اسم بئر بينها وبين مكة ما يقرب من أربعين كيلومترا) وفى العام السادس للهجرة، صلى بالمسلمين صلاة الصبح على إثر مطر كان من الليل، فلما انتهى من صلاته أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم..

لقد أراد الرسول ﷺ أن يعلم أصحابه درسا فى العقيدة والإيمان، ويبين لهم حقيقة قضية الأسباب والمسببات، فشرح لهم مسألة نزول المطر ومدى ارتباطها

بالأسباب الكونية من البخار والتكثيف، والحرارة، والسحاب والجاذبية الأرضية والرياح.. إلى غير ذلك.

فتلك الأسباب جميعها مرهونة بإرادة الله عز وجل، ويجب ألاَّ نقتصر فى تفسيرنا لظواهر الكون على المحسوسات وما يخضع لتجاربنا وننسى الخالق المبدع المدبر..

عندئذ قال النبى ﷺ لأصحابه: **قال عز وجل أصبح من عبادى مؤمن وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، ومن قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب.**

الرفق فى الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله تعالى رحمة وهداية، واستقامة على الخلق، ومعاملة طيبة للناس، وتحتاج معالجة المنكر إلى الرفق واللين أولاً، فإذا لم يفلح هذا السبيل انتقل الإنسان — فى دائرة اختصاصه — إلى ما يستطيع به تغيير المنكر، دون أن يؤدى ذلك إلى منكر أسوأ، وفتنة لا تبقى ولا تذر..

وذات يوم قدم شاب إلى النبى ﷺ وقال بهدوء: يا نبى الله أتأذن لى فى الزنا؟!

فصاح الناس، وغضبوا لهذا السؤال الغريب وهذا الطلب الشاذ، وكادوا يفتكون بهذا الشاب الغر الذى أراد أن يأخذ رخصة شرعية لفعل تلك الجريمة النكراء..

لكن الرسول ﷺ أشار إلى أصحابه بالتزام السكينة وأمر الشاب بالدنو والقرب منه، فدنا الشاب حتى جلس بين يدى الرسول الكريم..

وبدأ الرسول ﷺ يشرح له القضية بأسلوب حكيم، هين ليِّن، فقال للشاب: أتحبه لأمك؟! أى هل ترضى أن تزنى أمك وتمارس الفاحشة؟، قال الشاب: لا، جعلنى الله فداك. فقال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم.

ثم قال له: أتحبه لابنتك؟! قال الشاب: لا، جعلنى الله فداك، قال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم..

ثم قال له: أتحبه لأختك؟! قال الشاب: لا، جعلنى الله فداك، قال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم..

وتدرج معه الرسول الكريم فذكر العمة والخالة، ويقول الشاب فى كل واحدة: لا، جعلنى الله فداك، ويقول له النبى ﷺ: وكذلك الناس لا يحبونه..

هنا أدرك الشاب عمق الجريمة التى يريد أن يستأذن فى ارتكابها، وعلم أن صوت الفطرة يأبى أن تُمارس هذه الفاحشة، ووصل بحكمة الرسول إلى ضرورة التزام القيم والأخلاق وصيانة الأعراض حتى لم يكن شىء أبغض إلى هذا الشاب من الزنا.

عندئذ وضع الرسول ﷺ يده على صدر الشاب وقال:

اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه..

الشهداء

الحق يحتاج إلى قوة تحميه، وترد كيد العدو، وفى هذه الحياة يعيش الناس فى صراع دائم بين الحق والباطل، وقد ينتصر الباطل فى لحظة عابرة من لحظات الزمن، ولكن الذى لا شك فيه أن دولة الباطل ساعة ودولة الحق والعدل إلى قيام الساعة..

وقد وعد الله تعالى إحدى الحسنيين، النصر فى الدنيا أو الشهادة والفوز بالجنة للذين يدافعون عن الحق بكل غال ونفيس، قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(التوبة / ٥٢)

وللشهادة فضل عظيم وثواب جزيل لا يعدله شىء، قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾.

(آل عمران / ١٦٩ : ١٧١)

والشهادة بمعنى القتل فى المعركة دفاعا عن الدين هو الذى استقر فى أذهان كثير من الناس، حتى إن رسول الله ﷺ سأل أصحابه يوما، فقال: ما تعدون الشهيد فيكم؟

قالوا: يا رسول الله من قتل فى سبيل الله فهو شهيد.

فأراد الرسول ﷺ أن يعلم الناس مراتب الشهداء ويبين لهم الجزاء الحسن الكبير الذى أعده الله تعالى لكل مسلم له موقف ثبات فى البأساء والضراء.

فحين سمع الرسول مقالة أصحابه قال لهم: إن شهداء أمتى – إذًا – لقليل.

فتعجب الصحابة وقالوا: فمن هم يا رسول الله؟

فبيّن لهم الرسول ﷺ أن قتيل المعركة شهيد وكذلك من مات فى سبيل الله فهو شهيد، حتى ولو لم يقتل بل مات ميتة طبيعية، فطالما توفرت له نية الجهاد، وزحف مقبلا غير مدبر ثم جاءه الموت فله أجر الشهيد، كما امتن الله بمنح ثواب الشهادة لكل من مات ميتة فيها شدة وألم، فمن أصيب بالطاعون فمات فهو شهيد، ومن أصيب بداء البطن من استسقاء وانتفاخ فمات فهو شهيد، ومن مات غريقا أو حريقا أو تحت هدم فهو شهيد..

إن الصحابة رضى الله عنهم فهموا أن ثواب الشهادة مقصور على قتيل المعركة وعندئذ قال النبى ﷺ: **من قتل فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد، ومن مات فى البطن فهو شهيد، والغريق شهيد.**

المجاهد المسلم

الحق يحتاج إلى قوة تؤازره، وتحفظ لأصحابه حرية القول والعمل فى إطار القيم العليا..

وليس يعقل أن يكون أصحاب الحق فى استخذاء وانكسار وذلة، فإن الحق من أسماء الله تعالى، فالله هو الحق، والمؤمن يستمد قوته من إيمانه بربه وخالقه ورازقه ومدبر الكون والكائنات..

وقد وعد الله — ووعده الحق — أن ينصر المؤمنين الصادقين، وأن يمكن لهم فى الأرض حتى ينشروا الدين الصحيح، ويقيموا العدل، ويعيشوا عباد الله إخوانا..

لكن هذا الوعد الإلهى — لكى يناله المسلم — فى حاجة إلى تضحيات جسام، وتحمل كبير، وبأساء وشدة، حتى يميز الله الخبيث من الطيب، وتظهر النفسيات على حقيقتها فى قوتها وضعفها، فى ثباتها وفرارها، فى إقبالها وإدبارها، فى انتصارها وهزيمتها..

وأبعد شىء عن المؤمن المجاهد هو خور العزيمة، وسوء القصد، وخسة الهدف.. ولهذا جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله؟

إن هذا الأعرابى أراد تحديدا لهدف المجاهد المسلم، وأراد أن يعرف همة هذا المجاهد، والغاية التى يرجوها من جهاده، لأن بعض الناس يتخذون من الحروب مغانم يسلبون بها خيرات الشعوب، ويستنزفون ثرواتها، وبعض الناس يتخذون من القتال مظهرا للتباهى بالقوة الغاشمة واكتساب الحديث عن شجاعتهم وبأسهم دون نظر إلى شرف القتال وكرامة الشجاعة وعزة البأس؛ وبعض الناس قد يقاتل حمية جاهلية وأنفة وتعصبا أعمى دون نظر إلى حق أو فضيلة أو عدل..

عندئذ قال النبى ﷺ:

من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله..

شهادة الناس

الإنسان يعيش فى مجتمعه ويتعامل مع بنى جنسه، وعلى قدر صلته بهم، وحسن تعاونه معهم، وصدقه فى الحديث، وأمانته على الأموال والأعراض — يكون حديث الناس عنه خيرا، فيتناقلون صفاته فى مجالسهم كمثل وقدوة، ويذكرون محاسنه إعزازا وإكبارا..

وحين يكون الأمر على العكس من ذلك، فيسىء المرء معاملة إخوانه، ويقطع تعاونه معهم، ويكذب فى الحديث، ويخون الأمانات — يذكره الناس بالسوء، ويحذرونه، ويتوجسون منه شرا..

وتلك عادة الناس فى كل زمان ومكان، وذات يوم كان الرسول ﷺ جالسًا مع أصحابه فمرت بهم جنازة، يعرفون صاحبها بالصلاح والتقوى وحسن المعاملة وأدب الحديث وكرم الأخلاق فأثنوا على هذا الميت خيرا وذكروا محاسنه، ولما رأى النبى ﷺ شهادتهم لهذا الميت قال: وجبت.. وجبت.. وجبت..

وبعد فترة مرت جنازة أخرى، ويبدو أن صاحبها لم يكن على المستوى الأخلاقى الرفيع كسابقه، وتذكر الناس سوء عشرته، ولعله كان من المنافقين أو المتظاهرين بالفسق والبدعة، فتكلم الناس عليه شرا..، ولما رأى النبى ﷺ شهادتهم على هذا الميت قال: وجبت.. وجبت.. وجبت..

وتعجب الصحابة رضى الله عنهم من مقالة رسول الله ﷺ فى الحالين: وجبت.. وجبت.. وجبت..، وتساءلوا فى أنفسهم يا ترى ماذا تعنى كلمة وجبت؟!

وتقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الرسول ﷺ وقال: فِدىً لك أبى وأمى، مُرّ بجنازة فأثنى عليها خيرا فقلت: وجبت، ومُرّ بجنازة فأثنى عليها شرا فقلت وجبت..

ونسى عمر بن الخطاب أن الناس ألسنة الحق، وأن الله تعالى يلهم الناس الثناء الحسن الجميل لمن عمل صالحا، والذم القبيح لمن أساء وفسد خلقه، عندئذ قال النبى ﷺ:

من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض، أنتم شهداء الله فى الأرض، أنتم شهداء الله فى الأرض.

التضحيات سبيل النصر

بدأ الإسلام غريبا ، وتحمل السابقون فى الإسلام البأساء والضراء وواجهوا مجتمعا بعقائده وتقاليده مواجهة لا تعرف الخور والضعف..

لقد واجه الرسول ﷺ قومه لأول مرة من فوق جبل الصفا فنادى عليهم وبلغهم رسالة ربه فإذا بعمه أبى لهب يتنكر للرحم وينكر الحق ويجاهر بالعداء ويقول لابن أخيه: تبًا لك سائر هذا اليوم..

وبينما الرسول ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة ابن أبى مُعَيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا حتى أقبل أبو بكر رضى الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟!

وفى أوائل صدر الدعوة دخلت أسرة بأجمعها فى دين الإسلام، وهى أسرة ياسر وزوجه سمية وولده عمار، وكان المشركون يخرجون بهذه الأسرة إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة إلى أن أصبحت سمية أول شهيدة فى الإسلام..

مع كآبة المنظر وقسوة الموقف كان صوت بلال بن رباح مرتفعا بكلمة التوحيد.. أحد.. أحد..

ولقد كان العهد المكى كله عناء ومعاناة، وشدة شديدة، وبأساء مؤلمة للمسلمين الأوائل..

لكن فى وسط هذا الجو القاتم، والأصنام المعبودة والطاغوت المستحكم تولد الآمال الكبار فى قلوب المسلمين المستضعفين، ويأتى أحد الصحابة وهو خَبّاب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد ببردة، وهو فى ظل الكعبة، وقد لقى المسلمون من المشركين شدة فيقول: ألا تدعو الله لنا يا رسول الله؟

فهو يشكو إلى الرسول حال المسلمين ويرجوه أن يبتهل إلى الله عسى أن يفرج الكرب ويكشف الغمة ويزيل البلاء..

عندئذ قعد الرسول ﷺ وهو محمر وجهه فقال:

لقد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه.. ولكنكم تستعجلون.

تطور الحياة والفكر

حرص الصحابة على سؤال رسول الله ﷺ فى شئون حياتهم كلها، بل أرادوا أن يسبقوا الزمن فسألوا عن أمور تقع فى مستقبل أيامهم وطلبوا النصيحة حيالها..

يقول أحدهم وهو الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان رضى الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت: يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟! قال: نعم.

فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتى، ويهدون بغير هديى، تعرف منهم وتنكر..

أى أن دوام الحال من المحال ، والحياة قائمة على تغيرات كثيرة، فقد كان الناس فى الجاهلية يعبدون الأصنام ويأكلون الميتة ويئدون البنات ويقتتلون لأتفه الأسباب، ثم مَنّ الله عليهم بالإسلام وهداهم إلى القرآن وجمعهم على الهدى..

وهنا تساءل حذيفة رضى الله عنه: هل يأتى شر بعد ذلك الخير، فأخبره الرسول المصطفى أنه سيأتى على الناس زمان يقل ولاؤهم للدين، ويتضاءل تمسكهم بالشرع.. وسيعقب ذلك مرحلة تظهر فيها البدع والأهواء لكن الزمن لا يخلص للشر بل فيه معروف ومنكر..

فتساءل حذيفة: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقال حذيفة: صفهم لنا يا رسول الله، قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

أى أنه سيأتى على الناس زمان يكون للفاحشة والجريمة أنصار يروجون لها، ويتواجد فى المجتمع دعاة الفتنة ورفاق السوء، وهم ليسوا غرباء عنا بل هم من مجتمعاتنا ويعيشون بيننا وينتسبون إلينا..

هنا طلب حذيفة نصيحة من رسول الله فى هذه المرحلة الحرجة من حياة المجتمع، فقال الرسول الكريم: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

عندئذ قال النبى ﷺ: **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك..**

هوان الدنيا

الدنيا قسمان؛ دنيا الشهوة والملذات والظلم والانحراف فهذه لا قيمة لها ولا وزن، ويبرأ منها العاقل ويهرب، ولا تستحق أن يعيشها إنسان، وفيها نزل قوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾.

(آل عمران / ١٤).

وهناك دنيا الحق والعدل والكرامة، فتلك الدنيا هي زاد الآخرة، ومقدمة السعادة الأبدية، وهي التي يحرص المسلم ليعيشها مرضاة لله عز وجل، وفيها نزل قول الله تعالى:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

(القصص / ٧٧).

وقد قسم الله تعالى الناس حيال الدنيا فريقين: فريقا جعلها أكبر همه ومبلغ علمه، وفريقا عاشها من أجل الدين، ورضي بها طريقا للآخرة، فقال:

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

(البقرة / ٢٠٠ ، ٢٠١)

وذات يوم دخل رسول الله ﷺ السوق والناس حوله، فمرّ بجدى أسك ميت، أى بجدى من الماعز صغير الأذنين، ضعيف البدن ثم هو ميت لم يعد يصلح لشيء، فأخذ الرسول ﷺ بأذن هذا الجدى الصغير الميت وقال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟!

أى من يريد أن يشترى هذا الجدى الميت بشيء يسير جدا وهو الدرهم، فقال الصحابة: ما نحب أنه لنا بشيء؟ وما نصنع به؟

فهم يرفضون شراءه مطلقا، فهو لا يساوى شيئا ولا قيمة له.

فقال ﷺ: أتحبون أنه لكم؟! يعنى أتحبون أن تأخذوه بلا مقابل، فقالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟!

أى أنهم أنفوا أن يكون هذا الجدى الصغير الميت لأحد منهم، ورفضوا أن يكون ملكا لهم، فهو صغير ميت، بل إنهم زادوا على ذلك وقالوا لو كان حيا ما يسرهم أن يأخذوه فهو صغير ضعيف..

ولقد كان هذا الحوار الطريف درسا بليغا لقنه الرسول الكريم لأصحابه والناس كافة، فإن الحياة الدنيا بملاذها وشهواتها صغار يأنف منه العقلاء ويرفضه الشرفاء..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم..

وقت الفتنة

شأن المجتمع الصالح أن يتعاون أفراده على البر والتقوى، وأن يتناصحوا بالخير والمعروف، وبهذا تسير قافلة الحياة فى أمن وأمان، ويستشعر الناس الطمأنينة والاستقرار، ويعيشون عباد الله إخوانا..

قال الله تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾.

(التوبة / ٧١)

فإذا خرج الناس عن إطار المنهج الإلهى، وتصارعوا، وغلبت عليهم الأهواء وعاشوا فتنا تقضى على الأخضر واليابس، وتدمر كل شىء — فالعاقل هو من يتجنب هذه الفتن كافة ولا يشارك فيها مطلقا..

وتتوزع الجريمة على المشاركين فى الفتن حسب درجة اشتراكهم، ويلاحقهم العدل الإلهى فى الدنيا والآخرة..

وقد حذر الرسول ﷺ من الفتن فقال:

إنها ستكون فتن، القاعد فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى..

ثم نصح الرسول الناس كيف يصنعون فى الفتن فقال:

ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه.

يعنى أن العاقل ينصرف عن أن يشارك فى الفتن أدنى مشاركة، وينكب على عمله أيا كان وفى أى موقع، ويدع هؤلاء المشاركين فى الفتنة حتى يحكم الله بينهم طالما أنهم لم يستجيبوا لنصح ولم يستمعوا لرأى ولم يكفوا عن الصراع، ولا قوة لنا على فرض الصلح..

وهنا سأل رجل وقال: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض.. يعنى ماذا يفعل؟

فأكد له الرسول الموقف السابق ونصحه بعدم الدخول فى غيابة الفتنة، وأمره بالنجاة فى أى اتجاه آخر مع إلقاء السلاح والتخلص منه حتى لا تحدثه نفسه بالمشاركة فى صراع الفتنة.. وقال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء..

وتوجه الرسول بالدعاء الضارع قائلا: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت.. فقام رجل آخر وسأل لو أنه أجبر على المشاركة مع أحد الفريقين المتصارعين وقال: أرأيت إن أكرهت حتى يُنطلق بى إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربنى رجل بسيفه أو يجىء سهم فيقتلنى.

عندئذ قال النبى ﷺ : **يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار.**